

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب

عظيم الانطباع شره المذاكرة فطن بالمعاريف حاضر الجواب شعلة من شعل الذكاء تكاد تحتدم جوانبه كثير الرقة فكه غزل مع حياء وحشمة جواد بما في يده مشارك لإخوانه نشأ عفا طاهرا كلفا بالقراءة عظيم الدؤوب ثاقب الذهن أصيل الحفظ طاهر النبل بعيد مدى الإدراك جيد الفهم فاشتهر فضله وذاع أرجه وفشا خبره واضطلع بكثير من الأغراض وشارك في كثير من الفنون وأصبح متلقف كرة البحث وصارح الحلقة وسابق الحلبة ومطنة الكمال ثم ترقى في درج المعرفة والاضطلاع وخاص لجة الحفظ وركض قلم التقييد والتسويد والتعليق ونصب نفسه للناس متكلماً فوق الكرسي المنسوب وفوق المحفل المجموع مستظهراً بالفنون التي بعد فيها شأوه من العربية والبيان واللغة وما يقذف به في لج النقل من الأخبار والتفسير متشوقاً مع ذلك إلى السلوك مصاحباً للصوفية آخذاً نفسه بارتياض ومجاهدة ثم عانى الأدب فكان أملك به وأعمل الرحلة في طلب العلم والازدياد فترقى إلى الكتابة عن ولد السلطان أمير المسلمين بالمغرب أبي سالم إبراهيم ابن أمير المسلمين أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب ثم عن السلطان وعرف في بابيه بالإجادة .

ولما جرت الحادثة على السلطان صاحب الأمر بالأندلس واستقر بالمغرب أنس له وانقطع إليه وكر في صحبة ركا به إلى استرجاع حقه فلفظ منه محله وخصه بكتابة سره وثابت الحال ودالت الدولة وكانت له الطائلة فأقره على رسمه معروف الانقطاع والصاغية كثير الدالة مضطلعاً بالخطبة خطأ وإنشاء ولسنا ونقداً فحسن منابه واشتهر فضله وظهرت مشاركته وحسنت وساطته ووسع الناس تخلقه وأرضى للسلطان حمله وامتد في ميدان النظم والنثر بآه فصدر عنه من المنظوم في أمداحه قصائد بعيدة الشأو في مدى الإجادة وهو بحاله الموصوفة إلى هذا العهد أعانه الله تعالى وسدده